Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإذا كان هذا هو ما يريده ابن خلدون ويرمى إليه فإنى أوافقه فيه وأقره عليه وأرتضيه رأيًا وَقَرَ فى نفسى من أمد بعيد؛ لأنى وجدت بين الرجلين شبهًا قويًا فى تجلية الحقائق العلمية وبحثها بحثًا ينير السبيل، ويشفى الغليل، ودعمها بما صح من النقل وبما هدى إليه العقل.

ولكن ابن جنى له فى «الخصائص» نهجٌ آخر يغاير ما سار عليه ابن هشام فى مؤلفاته التى بأيدينا، فإنه فيها ـ ما عدا المغنى ـ نحوىٌ خالص يتحدث عن النحو الصرف فى مواطنه، أما الصرف فإنه قد نحاه إلى محله وتحدث عنه مستقلاً فى مواضعه.

وهو فى «المغنى» محقق للبناء والبنية على وجه لا أراه قريبًا مما توخاه ابن جنى فى «الخصائص» إذ جعل ابن جنى كتابه مزيجًا من النحو والصرف، والأدب واللغة، فبينما يستهل كلامه بالتحقيق اللغوى إذا هو يقصد إلى الصرف ويوغل فى بحث الأبنية، ثم يسلمك إلى البحث النحوى، ثم يأخذك بسحر بيانه فتلفى نفسك على الصراط المستقيم بين البصريين والكوفيين.

وقصارى القول أن كتاب «الخصائص» بفقه اللغة أشبه وإليه أقرب، أما كتب ابن هشام فإنه قد اتجه فيها إلى النحو اتجاهًا كليًا دون أن يتناول فيها سواه من مسائل الصرف التى أفرد لها أبوابًا خاصة بها وقاصرة عليها كما فعل فى «أوضح المسالك»، وما جاء من بحث فى البنية أثناء الكلام على النحو إنما هو استطراد مست إليه الحاجة.

والذى أراه أن ابن هشام كان عبقريًا ألمعيًا ماهرًا موهوبًا، وأنه شغف بدراسة العلوم العربية أيما شغف فعكف على تحصيلها وداب على تفهمها حتى تطامن له مركبها، وصفا مشربها، فعل من أمثال العرب ونهل من شواهد أشعارهم حتى امتلأ فهمًا لأساليبهم، وفقهًا لتراكيبهم، وصارت له ملكة تامة وذوق سليم يدرك به كلام العرب كأنه نشأ بينهم، أو شافههم.

ثم كان للنحو من باحث فيه، منقب فى نواحيه، مستوعبٌ لمذاهبه، متتبعٌ له فى كل مكان انحار إليه، أو طور كان له تأثير فيه.

ثم هو بعد ذلك مستقل الرأى لا ينزع إلا عن قوسه، ولا يتبع أحدًا فى رأيه، ويخطىء من يقول: إنه بصرىّ صرف خطأ من يزعم أنه كوفىّ قح.

وليست مدرسة البغداديين، أو رصيفتها عند المغاربة والأندلسيين بأسعد حظًا لدى ابن هشام من مدرستى البصريين والكوفيين، بل هو تجاه تلك المدارس